وفي الختام نقول ان السبيل الثاني للوحدة السياسية رسمتـــه الانظمة العربيـــة الديناميكية والمتجهة نحو التغيير . وكانت الوحدة تمثل احدى السياسات المتيسرة لهذه الانظمة في هجومها ضد الانظمة العربية المتحجرة والمتجهة نحو تثبيت الوضع القائم . ومن هذه الناحية ، لبست الوحدة في هذه المرحلة زيا عقائديا ذا مفاهيم اجتماعية ـــ اقتصادية تقدمية . ولذلك استبدلت الوحدة الشمولية التي شهدتها المرحلة السابقة باتحادات ومحاولات اتحادات مقصورة على انظمة لها عقائد مشتركة . كذلك ، بينما كانت احتمالات الوحدة في السابق تحت رحمة طبقة الموظفين الرسميين كليـــا ، فان المشاركة الجماهيرية في السياسة ارغمت الزعماء السياسيين العرب من جميع المذاهب على ان يصيروا اكثر تجاوبا مع مثال الوحدة الشعبي ؛ « وما من زعيم عربي هو من القوة بحيث يمكنه تجاهل جاذبيته ... وكل زعيم يبرر نفسه في نطاق اخلاصه لهذا المثال »(١٠).

ج) النظرة الثورية كنتيجة لحرب عام ١٩٦٧ :

لم يتجسد هذا السبيل الثالث الى الوحدة بعد في اختبار سياسي فعلـــي . فهذا السبيل هو نتاج الانقسام ضمن المعسكر التقدمي الذي تبلور بعد عام ١٩٦٧ . وتقترحه الانظمة والحركات التي تسعى الى التحويل الجذري لمجتمعاتها وتشمل قوى من اليسار العربي « القديم » و« الجديد » .

يقسم مؤيدو هذا السبيل الى الوحدة الانظمة العربية الى انظمة بورجوازية وانظمة بورجوازية صغيرة . ويجادلون بأن الانظمة البورجوازية هي انظمة قديمة بالية لا بد من تدميرها قبل ان يمكن حدوث اي تغيير ذي معنى ضمن مجتمعاتها . وهي معادية لاية اجراءات وحدوية وغير قادرة هي نفسها على استهلال الاتحادات.ويؤكدون ان انظمة البورجوازية الصغيرة مناهضة للامبريالية ووطنية ولكنها تفتقر الى التزامات عقائدية واضحة . وهي تتذبذب بين الاشتراكية والليبرالية تبعا لما تقتضيه مصالحها . وتفشل الوحدة السياسية ، بين البلدان الخاضعة لقيادة البورجوازية الصغيرة « الانتهازية » و« غير المستقرة » ، في الصمود لاختبار الزمـــن الا اذا حولت المجتمع الى نظـــام اشتراكي . فالاشتراكية ، اذن ، هي الشرط الضروري لنجاح الوحدة(١١).

ولا يسقط دعاة الطريق الاشتراكية الى الوحدة ، التي تبلورت فكرتها بعد عـــام ١٩٦٧ ، من الحساب امكانية قيام وحدات تبدأها وتقودها البورجوازية الصغيرة ، ولكنهم منقسمون حول ما اذا كانت مثل هذه الوحدات تستحق التأييد والدعم . ويؤكد البعض ان على القوميين ان يقيموا الانظمة الاشتراكية في بلدانهـــم المختلفة قبـــل توحيدها . ويقبل البعض الآخر بتحويل وسائل الانتاج تحويلا جزئيا نحو الملكية العامة، والديموقراطية الشعبية ، وزيادة الانتاج واعادة توجيه العلاقات التجارية العربية على انها سبب كاف لتؤيد القوى التقدمية محاولات الوحدات . ويعيد الجدل المستمر الى الذاكرة النزاع بين نظرتي « الاشتراكية في بلد واحد » و« الثورة الدائمة » .

كانت النقطة التي اضحت فيها الاشتراكية مرتبطة ارتباطا لا يفك بجميع العلاجات للوحدة هي سنة ١٩٦٧ . فالحرب العربية ـــ الاسرائيلية في تلك السنة نفرت الحركة القومية بصورة تامة من الولايات المتحدة وادت الى « مركسة » « القومي » والى جعل الماركسي « قوميا » . وربما كان التسلل الى الفكـــر القومي ثم سيطـــرة المذهب اليساري احدى ابرز النتائج التي ترتبت على الحرب في العالم العربي . وقد حدثت العملية كنتيجة لاقتناع متزايد بأن النزاع العربي ـــ الاسرائيلي ليس نزاعا بين قوميتين فحسب ، ولكنه ايضا صراع بين طريقتي حياة تخطى القضايا الاقليمية وصار مرتبطا